السّيميائيّة السّردية في النقد العربي المعاصر
"رشيد بن مالك أنموذجا "

أسماء بن طيب: Bentayeb_assma@outlook.fr
آمنة عيساوي: aminaaissaouidz@gmail.com
إيمان حطاب: imanehattab30@gmail.com
أسماء دولات: selsabile21@gmail.com
حورية بن سعيد: houria13tlemcen@gmail.com

المركز الجامعي مغنية

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/06/01	2020/06/17	2020/12/01

مُلَخَّصُ البَحْث

عرف الفكر النقديّ العربي الحديث نظريات جديدة، ثارت على القوالب النقدية التقليدية، فكانت الانطلاقة من النظريات الغربية الحديثة التي اعتمدت المنهجية العلمية المحضة في تحليلها ، ومن بين تلك النظريات التي وفدت على النقد العربي النظرية السّيميائيّة السّردية .

مكنت هذه النظرية النقاد من استنطاق النصوص السّردية بإعمال إجراءات كشفت عن خبايا السرد وتمفصلاته، ومن بين النقاد المعاصرين الذين استهوتهم السيّميائية السردية فمارسوها تنظيراً وتطبيقاً الناقد الجزائري"رشيد بن مالك"الذي نحاول من خلال هذه الورقة إلقاء الضوء على منهجه في التحليل السّيميائيّ.

الكلمات المفتاحية: السيميائية السردية، النقد المعاصر، رشيد بن مالك

Abstract

Arabic literature and critic knew new theories that aimed to replace the classic old critics, the beginning was from western modern theories that relay on science in analyses; an one from thos new modern theories that came from Europ is the narativ semiotic.

The narrative semiotic capacitate critics to exanimate different text using precedure that reveal many aspects in the narration , and one of the critics ho process narrative semiotic the Algerian critic "Rashid bin Malik, this study tries to shed light on an important aspect of the semiotic critical

experience of critic "Rashid bin Malik", by tracking and monitoring his semiotic approach in his analysis of the narrative texts.
Key words: Narrative semiotics –rachid ben Malek Contemporary criticism - Rashid ben Malek.

تمهيد:

يتلقّف النقد العربي عامة والمغرب العربي خاصة جديدَ المناهج في حقول المعرفة ترجمة وتأصيلا، و لا ينكر الدارسون مدى إسهام عدد من النقاد في بلورة صورة عامة وواضحة لأهم إنجازات المناهج في دراستها للنصوص، حيث تم تطبيقها على نماذج من التراث الأدبي العربي، أو ما جدّ في ميادين القصة والرواية والشعر والمسرح.

و لعل توسط المغرب العربي للقارات جعل منه نقطة تبادل ثقافي بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، أهّل نقاده ليكونوا على دراية بالجديد النقدي من كل صوب، فيسعون إلى ترجمته ثم محاولة تطبيقه، خالقين بذلك فرصة لتخصيب تربة الفكر النقدي العربي بتوجهات سياقية ونسقية.

فهذا الزخم الثقافي للمنطقة وإن كان يعدّ ميزة إيجابية إلا أنه يترك على عاتقهم مسؤولية فكرية وثقافية يعي النقاد جيدا مدى خطورتها وصعوبة حملها ما لم تجد أقلاما مكثرة غير مقلّة في أبواب الترجمة والتعريب والتنظير والتطبيق، وقبل ذلك كله القراءة.

ولا يتم الحديث عن النقد الحديث ومناهجه دون الحديث عن المعارف السّيميائية التي تسربت إلى النقد الأدبي العربي تحليلا وترجمة وتطبيقاً عبر كتابات باحثين نذكر منهم: "عبد الحميد بورايو"، و"السعيد بوطاجين"، و"محمد مفتاح"، و"عبد المالك مرتاض" ، و"سعيد بنكَراد" و "رشيد بن مالك"، هذا الأخير الذي أخذنا منهجه محورا للدراسة .

1. . رحلة السيميائية السردية إلى النقد العربي عبر كتابات رشيد بن مالك:

لكل ناقد بصمته الخاصة التي تميزه عن غيره من النقاد في أسلوب قراءته وتحليله نظرياً وتطبيقياً، و يعد رشيد بن مالك أحد الأقطاب الدارسين للسّيميائية في شقّها المتعلق بالسّرديات، و قد ظهر ذلك في تبنّيه للمنهج في تحليلاته لعدد من النصوص الحديثة والتراثية.

ولأن الحديث عن أي منهج نقدي يضعنا أمام تراكم معرفي مفاهيمي يستدعي فهم المصطلحات وفهم آليات المناهج المعتمدة ومقارباتها لتحليل النصوص فلا بد لنا من الحديث عن بعض المفاهيم والمصطلحات التي جاءت بها السّيميائية السّردية .

- **السيميائية السردية : الإجراءات و المفاهيم:**

تُعرف النظرية السّردية الغريماسية – نسبة إلى صاحبها Algirdas Julien Greimas – بـ' السّيميائية السّردية ' **Sémiotique narrative** وهي نظرية ذات منظور سّيميائيّ وبنيوي هدفها دراسة التركيب السّردي[1].

بنى غريماس نظريته بعد دراسة وبحث وتنقيب في أعمال سابقيه، فجاءت النظرية لتسد الثغرات أولا ولتكون أكثر بساطة وشمولية ثانيا، فقد عمل على استيعاب عناصر شتى من الدراسات السابقة له ليقدم عملا يقوم على دراسة الجوهر الداخلي للنص الأدبي، باعتباره كيانا لغويا مستقلا أو جسدا لغويا أو نظاما من الرموز والدلالات التي تولد في النص وتعيش فيه، ولا صلة لها بخارج النص"[2] فالسّيميائية السّردية لا تلتفت إلى الخلفيات الأيديولوجية أو التاريخية ولا تقحمها في تحليل النصوص، بل تضع قواعد عامة لوصف العمل السّردي فتحلله عبر اجراءات التحليل السَّردي السيميائي.

إجراءات التحليل السردي السيميائي :

يعتمد التحليل السّيميائيّ السّردي للنصوص على إجراءات منها :

أ/ المقطوعة السردية (التقطيع السردي): يعد تقطيع النص عملية إجرائية مهمة بحسب مقتضيات المنهج السّيميائيّ السّردي، فالتقطيع هو السبيل الوحيدة لفهم النص والأخذ بتلابيب تشكل دلالاته وكذلك لتطبيق الإجراءات الأخرى يجب أن يكون النص (أو النموذج المراد تحليله أيا كان نوعه) قد قسم إلى مقاطع سردية. وتقطيع النص وتحديد تمفصلاته يتم عبر خطوات وإجراءات منهجية، يمكن تعريف المقطوعة على أنها وحدة خطابية تجري مجرى القصة القصيرة[3]، أي أن المقطوعة السّردية هي جزء من النص السّردي ولكن يمكن أن تفصل عنه وتعد قصة قصيرة وفي الوقت نفسه يكون لها ارتباط بما بعدها أو قبلها حيث يقول غريماس عن هذا " كل مقطع سردي قادر على أن يكون وحده حكاية مستقلة وأن تكون له غايته الخاصة به، لكن يمكن أن يدرج ضمن حكاية أعم وأن يؤدي وظيفة خاصة ".4

للوقوف على تمفصلات النصوص وتحديد المقاطع السردية يمكن للناقد في بعض الأحيان اعتماد المحددات التي يتبناها السارد : فقرات وفصول مرقمة أو عناوين فرعية كما يمكنه أن يستند في تقطيعه إلى المكونات الخطابية للنص السّردي ونعني بها :

العوامل: التي يتأسس عليها "الفعل "، كأن يحدد المقطع من خلال الحضور المكثف لعامل ما على حساب باقي العوامل .

الزمن والمكان: فقد تشكل 'هنا' أو 'هناك' محددا مكانيا كما قد يكون 'الآن' أو 'قبل' محددا زمنيا ذلك لارتباطهما بتحقيق الفعل.

التقابل الدلالي: في هذا النوع يتم التحديد من منظور أن كل نص يتجلى في شكل اختلاف، فتحديد الاختلاف والتضاد على الأقل بين عنصرين مثلا الحرية / الاستعباد، يتم عبر هاتين القيمتين الفصل بين مقطوعتين وذلك حسب القيمة المهيمنة في المقطع.[5]

ب- النموذج العاملي:

هو نظام ثابت يضم العوامل الستة _النموذج العاملي _ التي يقوم عليها أي نظام سردي: المرسَل إليه ،المرسِل، موضوع القيمة، العامل ،المساعد، المعارض6. و على الشكل التالي :

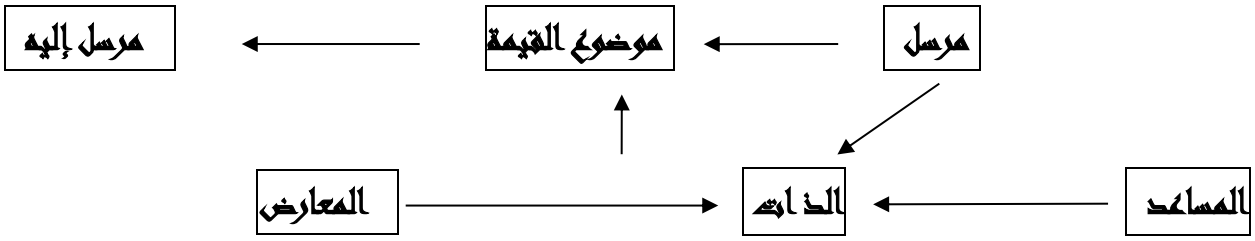

لا يقتصر عمل النموذج العاملي على إظهار العوامل الستة فهو أيضا يمثل العلاقات التي تجمع بينها عبر المحاور الثلاث :

علاقة الرغبة: Relation de désir:.

علاقة الصراع..Relation de lutte:

علاقة التواصل:Relation de communication:6

ج- الحالات والتحويلات :

تمثل أساس البنية السّردية حيث أن كل محكي يتشكل عبر سلسلة من الأفعال التي تنقل من حالة ابتدائية إلى صراع ثم إلى حالة نهائية . إذ تتشكل ذروة الصراع في علاقات الشخوص بعضها ببعض[7]، فبعد الوضعية الافتتاحية المسماة الحالة الأولية Etat initial_وهي تمتاز بالتوازن- تحدث جملة من التحولات الناتجة بفعل حدة التوترات المتصاعدة بين علاقات الشخوص فهذه التوترات تكون نتيجتها وقوع اضطرابات والسعي بكل قوة لاسترجاع التوازن وتحقيق المشروع المستهدف من خلال استرجاع موضوع القيمة Objet de valeurليسترجع في الأخير التوازن عند وضعية ختامية وهي الحالة النهائية Etat final [8]. والمقصود هو أن بداية

السّرد تكون بداية متزنة، ولكن نظرا لسعي الفاعل لتحقيق اتصال بموضوع ما، فإن حدة التوتر تزيد، وعند حصول الاتصال يعود الاتزان ليعم السّرد. والسَّعي لتحقيق الاتّصال هو ما يولد الحالات والتحويلات . هذه الحالات والتحويلات هي أساس التحليل السّردي، وذلك عبر التمييز بين الحالة الدالة على الكينونة Etre أو على الملك Avoir وبين الفعل المنجز Faire .[9] وهكذا علينا التمييز بين أنواع الحالات وأنواع التحويلات وهي كما يلي :

❖ **الحالات :ملفوظ حالة Enonce d'état :** يجسد ملفوظ الحالة وضعية كل عنصر في علاقته بالعنصر الآخر، وذلك عبر الاتصال أو الانفصال وهكذا نجد شكلين للملفوظات الحالة هما :

- *<u>ملفوظ حالة متصل</u> : Enoncé d'état conjonctif : وذلك حين يكون الفاعل في حالة اتصال بموضوع القيمة ، نرمز لهذه العلاقة ب:*

ف ∩ م

وتقرأ كالتالي : الفاعل (ف) في علاقة اتصال(∩) بموضوع القيمة (م).[2]

- *<u>ملفوظ حالة منفصل</u> : Enoncé d'état disjonctif : وهنا يكون الفاعل في حالة انفصال عن موضوع القيمة، ونرمز للعلاقة ب:*

ف ∪ م

وتقرأ كالتالي : الفاعل (ف) في حالة انفصال (∪) عن موضوع القيمة (م).[3]

إذن، فالحالة هي تمثيل للعلاقة بين الفاعل والموضوع وهي على شكلين إما انفصال أو اتصال . ولكن لا يمكن أن تبقى هذه الحالة ثابتة؛ إذ يقتضي السّرد حدوث تغيير أو تحول. ولذا لابد لنا من الحديث عن التحويلات *Transformations*.

❖ ***التحويلات Transformations***: التحويل هو ما يقلب مجرى الأحداث في النص السّردي بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى مغايرة، والمنجز للتحويل هو ملفوظ الفعل Enoncé de faire حيث عبره يتشكل نوعان من التحويل وهما :

- *التحويل المتصل Transformation conjonctive: وعبر هذا التحويل* يتم الانتقال من حالة انفصال إلى حالة اتصال بالموضوع؛ أي أن الفاعل يكون منفصلا وعبر عملية التحويل ليصبح متصلا بموضوع القيمة ونرمز لهذا ب :

ف ∪ م ⟵ ف ∩ م [1]

- *التحويل المنفصل Transformation disjonctive: التحويل الانفصالي يكون حين انتقال الفاعل من حالة اتصال إلى حالة انفصال عن موضوع القيمة .*

ذ ∩ م ⟵ ذ ∪ م[2]

د-البرنامج السّردي:

هو عماد النظرية السّردية كيف لا وهو أساس حركية السرد وفاعليته، فالبرنامج السّردي هو تتابع للحالات والتحويلات وهو تلك الخطاطة السّردية التي تتكون من عناصر: التحريك / الأهلية / الإنجاز / الجزاء / [10] . هذه العناصر بدورها مرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا، وتقوم داخل هذه الأطوار علاقات بين الأدوار والعوامل المحققة للحالات والتحولات.

➢ **-مقاربة السّيميائية السردية في أعمال "رشيد بن مالك":**

تنزل أعمال ودراسات "رشيد بن مالك"ضمن الجهود النقدية الجزائرية الميممة وجهها شطر السّيميائية السردية بكثير من الاقتدار العلمي والمنهجي لاسيما تحكمه في المنهج ووضوح رؤيته النقدية،و ربما كانت هذه الدقة وليدة المعارف المعجمية والممارسة القيّمة لضبط المصطلحات الخاصة بهذا العلم في قاموسه، وهو ما يشجع على قراءة مشروعه السّيميائيّ،خاصة بعد أن "أفصح بدقة عن مرجعيته وعن ولائه المنهجي الكامل للجهود السيّميائية الفرنسية والغريماسية تحديداً"[11]،لقد كان يروم استثمار مقولات النظرية السّيميائية وإجراءاتها التحليلية من أجل بلوغ غايته في إرساء أسلوب تحليلي علمي وفق هذا المنهج ذي الشقين النظري و التطبيقي.

فهل يمكن تصور مقاربة للجانب التطبيقي الإجرائي لهذا الخطاب وتتبع تمفصلاته والكشف عن مدى فاعليته الإجرائية ومردوديته التحليلية؟

وهل يمكن تحقق ذلك من خلال العلاقة التي أقامها بين السّيميائيّة والنصّ السّردي على اختلاف أنواعه؟

أجوبة لا يمكن أن تتبلور دون تعريج على التطبيقات التي أقامها رشيد بن مالك على نصوص مختلفة، كالحكاية الشعبية، والنص التراثي، والقصة القصيرة، والرواية.

ومع هذا فالواضح الجلي لكل من يقرأ أعمال هذا الناقد أن معظم دراساته تبدأ بجزء نظري متبوع بقسم تطبيقي كحال أغلب المؤسسين و الدارسين لهذا الأسلوب في تحليل النصوص .

وهنا سنحاول التفصيل في الشق التطبيقي المتعلق بدراسته لقصة عائشة لرضا حوحو:

- **مقاربة نصّ القصّة القصيرة:**

في كتابه"مقدمة في السّيميائيّة السّردية "قدم الباحث مقاربتين سّيميائيّتين لقصّتين، تخصّ الأولى قصّة (العروس) لغسّان كنفاني، والثانية قصّة (عائشة) لأحمد رضا حوحو،كما أن له دراسة بعنوان "قراءة سّيميائية في قصة أطلقوا النار على الكلمات لعبد الحميد بن هدوقة "، وكنموذج للتحليل السّيميائيّ السردي عند الباحث سنتتبع خطواته في تحليله لقصة عائشة .

إن أول ما يصادف القارئ لهذه المقاربة هو استجلاء الباحث للعناصر السردية للنص وتحديد الحالات والتحويلات التي تحكم الخطاب السردي، فكان أول ما قام به هو تقطيع النص إلى مقطوعتين :فيحدد بداية المقطوعة الأولى بقول الكاتب "عائشة امرأة ككل النساء" ونهايتها ب" يعرفن حياة يومية متشابهة لا يختلف فيها يوم عن يوم ".القصة ص195- 196-.[12]

ويصف الباحث الكاتب بالراوي الملاحظ(تعبيرا عن وجهة النظر فالراوي الملاحظ هو الذي يحتفظ بحق التعليق ومن ثم التهميش) الذي يعرض على القارئ طرفين تحكمهما علاقة جدلية وهما المرأة /المجتمع .[13]

يبين رشيد بن مالك كيف يقوم الراوي الملاحظ بإبراز حالة المرأة في المجتمع الجزائري، فيقدمه للقارئ على أنه وضع مظلم مستندا على ما جاء في القصة من وصف لحال المرأة ثم يبين أن هذه الحالة مؤطرة زمنيا ب: الماضي الحاضر والمستقبل فهي حالة ثابتة لن تتغير سياقها محكوم بالحتمية التاريخية، فمكانة المرأة المحافظة ندخل في علاقة تضاد مع التطور .

هنا حدد الباحث الفاعل الجمعي /المجتمع/ أما العامل الجمعي فهو النساء اللاتي نجح الرجال / كفاعل /في تحقيق مجموعة قيم تعمدت إقصاء المرأة وإذلالها وإحباطها وقد ضرب مثلا بقول الكاتب : عبادي حاشاك (ذكر اسم المرأة عيب وتستوجب الإشارة إليها إرفاق كلمة حشاك) .وهنا يشير إلى أن فقدان المعرفة عند المرأة وفقدانها للحق في التفكير وإن الكفاءة –للمرأة- ملك للرجل، فلا تسكن ولا تتحرك إلا بإرادتهم. فهم ضمير الغيبة الذي يمكنه إعادة اعتبار المرأة ولكنه يعمل على تكريس ثوابت تعمل على إبقائها في الحضيض.[14]

هنا يشير الباحث إلى أن الراوي لا يكتفي بالحياد فهو يفضح كل مكامن السقوط في نظام القيم الذي يمارسه الرجال على النساء، فيطمح الراوي من خلال تعرية الواقع الذي تعيشه المرأة إلى تغيره وتحسينه.

المقطوعة الثانية :

يبدأ الباحث الحديث عن بداية المقطوعة السردية وفيها كانت عائشة تعرف حياة هادئة هنا تظهر قوة معاكسة/ الشاب القادم من أوروبا / والذي يقوم بفعل الإغواء عبر صعيدين : صعيد لساني متمثل في غريب حديثه وعذبه، وصعيد غير لساني يتمثل في حلة افرنجية مبهرة و شعر براق وحذاء لامع . هنا يسعى الرجال إلى رفض المعرفة الجديدة ، بينما تسعى النسوة تحت الفعل الإغرائي إلى الاتصال بالمعرفة الجديدة .[15]

هنا يسعى الشاب /فاعل منفذ/ إلى الدخول في وصلة بالفاعل عائشة ،فيحدثها عن بنات أوروبا كفعل إقناعي يتوسل به تحقيق برنامجه السردي ، عبر تفحصه للحالات و التحويلات التي تقوم عليها القصة وعبر وقوفه على علاقة الفاعل بموضوع القيمة /انفصال/اتصال/ وبين كيفية انتقال عائشة من وضعية العبودية إلى وضع قار تمارس فيه حريتها مدفوعة ب فعل الشاب الذي علمت أنه كان فعلا ظاهريا لا يطابق كينونته حين فر إلى أوربا تاركاً إياها، هنا يصبح لعائشة هدف /برنامج سردي/ موضوع قيمة /يتمثل في الخروج من واقعها العفن فاستطاعت عائشة كسر الثابت لتدخل في وصلة مع قيم جديدة تنفي الاستغلال و تثبت التحرر16.

ليعلن الباحث في الختام اهتزاز الفاعل الجماعي وفشله في تثبيت قيم تقصي المرأة وتذلها،ثم أشار أن الراوي هدف إلى إقناع الأطراف الفاعلة في المجتمع من خلال عرض قصة عائشة ليخلصوا النساء من قيود العبودية.

خاتمة:

لقد ساهم الناقد "رشيد بن مالك" في مجال السّيميائيّة السّردية مساهمة معتبرة؛ إذ مارس السّيميائيّة في أعماله تنظيراً وتطبيقاً، ومن خلال تتبع مسيرته الأكاديمية يتضح استثمار معطيات التحليل السّيمائيّ للسرد بشكل واسع، رافعاً سقف توقعاته للنتائج الممكن تحقيقها لصالح النقد و الأدب ، لكونه يقدر كفاءة القارئ، وفي انتظار ما تجود به قراءاته مازالت تأخذ أعماله حيزا مهما للدارسين الراغبين في تطوير مهاراتهم للقراءة الناقدة والتحليل العلمي للنصوص السردية.

إحالات البحث

-مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ،مجموعة من المؤلفين ، ترجمة رضوان ظاظا عدد 221 سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ماي 1997 ص176 .

[2]-أسس السّيميائية دانيال تشارلز ترجمة طلال وهبة وميشال زكرياء، المنظمة العربية للترجمة لبنان 2008 ، ص 48.

[3]-مقدمة في السّيميائية السّردية رشيد بن مالك دار القصبة للنشر الجزائر 2000 ص،73.

[4]- فصول في السّيميائيات، نصر الدين بن غنيسة ،عالم الكتب الحديث ، الأردن 2011 ص 27 .

[5]-المرجع السابق ،ص 29.

[6]- السّردية العربية الحديثة، عبد الله إبراهيم:المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2003، ص250.

[7]-فتنة السّرد والنقد،نبيل سليمان دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 199،ص278.

[8]-مباحث في السّيميائية السّردية،نادية بوشفرة ،الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر**2008**،ص45.

[9]-ينظر: فصول في السّيميائيات،نصر الدين بن غنيسة،ص 42.

[10]-السّيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)،جوزيف كورتيس:تر:رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان، الأردن 2008،ص236.

[11]-السّيميائيات السردية: رشيد بن مالك ،دار مجدلاوي، عمان/ الأردن،ط1، 200م،ص37.

[12]-ينظر: مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة ،رشيد بن مالك،ص72.

[13]-المصدر نفسه، ص 73.

[14]- انظر :مقدمة في السّيميائية السردية77،رشيد بن مالك،ص77-80.

[15]-مجلة المخبر،السّرديات السّيميائية في النقد الجزائري ، رشيد بن مالك أنموذجا، سحنين علي، ع 11، 2015م، ص 112،113، تصرف.

[16]- مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة،رشيد بن مالك،ص 82.

مراجع البحث

-أسس السّيميائية دانيال تشارلز ترجمة طلال وهبة وميشال زكرياء،المنظمة العربية للترجمة ،لبنان، 2008.

- السّردية العربية الحديثة، عبد الله إبراهيم: المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان، 2003.

-السّيميائية (الأصول، القواعد والتاريخ)،جوزيف كورتيس:تر:رشيد بن مالك،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،**2008**.

-السّيميائيات السّردية رشيد بن مالك ،دار مجدلاوي، عمان/ الأردن، ط1، 2006م.

- مباحث في السّيميائية السّردية، نادية بوشفرة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،**2008**.

-مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ،مجموعة من المؤلفين ، ترجمة رضوان ظاظا، عدد 221، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ماي 1997 .

-مقدمة في السّيميائية السّردية رشيد بن مالك ،دار القصة للنشر ،الجزائر، 2000 .
-فتنة السّرد والنقد، نبيل سليمان دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، 1994.
- فصول في السّيميائيات، نصر الدين بن غنيسة ،عالم الكتب الحديث ، الأردن، 2011 .

المجلات:

-مجلة المخبر ، السرّديات السّيميائية في النقد الجزائري ، رشيد بن مالك أنموذجا، سحنين علي ، ع 11، 2015م.